الاستغلال والتخلف والامبريالية « سلاحنا الحيوي في هذه الحرب الطويلة التي دخلناها = القدرات الذاتية للامة العربية . فيجب تعبئة كل طاقاتها الى أقصى الحدود وبأكثر الاشكال فعالية وحسما + وحدة القيادة »(٢٧) . والرد الحقيقي لتجاوز الهزيمة لا يكون باعادة البناء السياسي على أسس جديدة قادرة على ادارة الصراع بل ان « الرد العملي الوحيد على النكسة ، للمدى القريب والبعيد معا هو الوحدة »(٢٨) .

كما رأينا فان المنطق المثالي يقفز ظاهريا فوق الطبقات على الرغم من طبقيته الصميمية ، وهو يسحب لاطبقيته هذه على المستوى العالمي ، فيرى في العالم دولا غنية ودولا فقيرة ، أي ان العالم لا يقسم الى معسكر امبريالي وآخر اشتراكي محكومين بمفهومين للعالم متناقضين ، بل عالمان يتقاسمان التكنيك « ينقسم عالمنا الحاضر ، على الصعيد الاقتصادي ، الى فئتين كبيرتين هما البلدان المتقدمة والبلدان النامية »(٢٩) . ويهدف هذا الموقف الى تشويه طبيعة العلاقة الايجابية القائمة بين البلاد العربية والاتحاد السوفييتي ، وتجميل الوجه الامبريالي الداعم لاسرائيل وللرجعية العربية . ويتسع هذا المنطق ويصعد من تركيباته الذهنية ليجد منفذا جديدا لتجميل الواقع المأزوم ، « فالمحنة » تبقى عائمة على سطح الظاهرة لان مردها تخلف العلم والتكنيك « أهم دروس الهزيمة هو اننا أهملنا العلم في السنوات الماضية »(٣٠) . فدروس الهزيمة لا تمس الجهاز البيروقراطي المتضخم ولا القمع البوليسي ولا الموقع السياسي والموقف الايدولوجي للساسة والعسكريين ، بل تمس فقط وجه التكنيك الغائب . ان التكنيك هنا يستحيل الى مفتاح سحري قادر على فتح كل الابواب وايصادها، وفي اطار التحليل لا يأخذ قيمته من دوره الفعلي في الانتاج بل كمرتكز جديد للتبرير ، أي أن التركيز على العلم والتكنيك لا يتم من خلال رؤيا علمية ، بل من خلال منطق برغماتي : فراغ جديد للاسقاط . وهذا يعني صيانة الطبقة المسيطرة سياسيا وتطوير التكنيك فقط « اننا أمام عدو متعلم وعصري وليس هناك حل آخر أمامنا على خط المواجهة الشاملة غير ان نكون أيضا متعلمين وعصريين »(٣١) ذلك انه « لا يمكن ان نحقق التفوق على العدو الا على أساس استيعاب كامل للعلم والتكنولوجيا »(٣٢) .

كما يحاول البعض ان يتمسح بلبوس الموضوعية ، فينحي جملة العوامل السابقة جانبا ، ليركز بشكل رئيسي على الخصم الرئيسي اسرائيل ، لكن هذه الموضوعية ما تلبث أن تتلاشى عندما يعلق المبرر صورة الخصم ويعطيه أبعادا لا متناهية ، ليعطي بذلك صورة منطقية للهزيمة لاننا « كنا نواجه عدوا تلقى مساعدات غير عادية ، وهذا العدو تصرف فيما حصل عليه من الامكانيات ببراعة غير عادية »(٣٣) . لكن المبرر ما يلبث أن يسقط من جديد عندما يقول « ان مفاجأة القدر التي دهمتنا »(٣٤) . « فالشرح » السابق لقوة العدو يفقد معناه لان الهزيمة أخذت طابعا قدريا مداهما ، أي لا يمكن صده ، عندئذ تبدو حرب حزيران كمأساة يونانية ومشخص المأساة فيها الطرف « العربي » أي الطبقة السائدة سياسيا .

ضمن هذا الاطار الباحث عن التأويل بمجموعة علاقات وهمية ، نجد آثارا لعلم الاجتماع الامريكي الذي يفسر كل « انحرافات » المجتمع باعتبارات أخلاقية وغيبية ، وليس من خلال علاقات الانتاج التي تحكم المجتمع « فأسباب النكسة موجودة في المجتمع العربي وفي الاخلاق السياسية والاجتماعية التي كان وما يزال يتعامل بها الافراد والجماعات »(٣٥) . ما يجب اذن تغييره لا يتعدى اعادة التربية الاخلاقية و« تطهير النفوس » . فقراءة الهزيمة لا تتم من خلال مفاهيم : طبقة ، صراع طبقات ، نظام انتاج كولونيالي ، تبعية اقتصادية — سياسية ، بل من خلال جملة مقولات ايدولوجية — غيبية : أخلاق ، أفراد ، جماعات ، « تعفن أخلاقي سائد »(٣٦) .